كتاب
اعمال الرسل اي الابركسيس

نظرٌ تاريخي انتقادي

للخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

انَّ المقالات الخطيرة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط اليسوعي في الاناجيل المقدَّسة حدت بنا الى كتابة فصل في سفر آخر لهُ علاقة معهـا . ألا وهو الكتاب التاريخي الخامس في العدد بين كتب العهد الجديد الذي اطلقت عليهِ النسخ القديمة هذا العنوان باليونانيَّة « Πράξεις τῶν Ἀποστόλων » وترجمتهُ اعمال الرسـل : وهذه التسمية من باب التوسُّع والمجاز فان موضوع الكتاب كما ستعلم لم يتحفنا باخبار واعمال الرسل كلهم بل جُلّ ما أودع شيٌ من اخبـار الكنيسة الاولى وخصوصاً اخبار الرسولين بطرس وبولس ولم يستغرق ترجمتهمـا تماماً كما هو ظاهر . ولهذا الكتاب شأن عظيم اذ ليس تأليف بين المؤلفات القديمة يماثل كتاب الاعمال من حيث علاقتهِ مع تاريخ العهد الاول لنشأة النصرانيَّة وتاريخ اليهود واليونان والرومان وجغرافيَّتهم في ذاك العهد فان الكاتب قد ضمَّن كتابهُ ما تجدر معرفتهُ من اخلاق تلك الامم التي نشر القديس بولس بين ظهرانيها بالكلمة فشار الى عباداتها والمأثور من آدابها ومناهج فلاسفتها واديانها ومواقف ساستها وامرائهـا وزعمائها فكان الكاتب شديد المراقبة يتحرَّى ما يقع تحت نظرهِ وينقل ما ينقلهُ بدقَّة واخلاص كما سيظهر لك لدى الملائمة بعد ذكرنا موضوع الكتاب وغايتهِ

موضوع الكتاب اجمالاً وغاية الكاتب

امَّا ما تضمَّنهُ الكتاب اجمالاً فهو سردُ ما جرى منذ عاد المسيح الى ابيهِ الى ان بلغ بولس مدينـة رومية ليُحاكم امام قيصر . ويظهر للعيان بداهةً ان واضعهُ لم يقصد وضع تاريخ مذهب لجيل الكنيسة الاول بل جلّ غرضهِ الاساسي ان يكتب لافادة رجل من اصدقائهِ يُدعى تاوفيلس . وممَّا يُرجَّح ان اصـدقاء بولس

الرسول واخصّهم تاوفيلس المذكور رغبوا الى لوقا ان يوقفهم ليس فقط على حياة يسوع المسيح بل على ماضي رسالة بولس وما لرسالة هذا من العلاقة مع رسالة بطرس والاثني عشر وماهية اتصال سلسلة تعاليمهم وانذارهم بسلسلة تعليم المخلص وكيف ان الروح القدس اشترك بهذا العمل المهمّ وهو انتشار الانجيل والانذار بملكوت الله وبكل ما يتعلق بالمخلص

ولم يكن يهمّ تاوفيلس سوى معرفة حلقات هذه السلسلة فاجاب لوقا الى طلبه بما كتب

ولم يستغرق الكتاب سوى مجمل الحوادث التي جرت من ربيع سنة ٢٩ الى ربيع سنة ٦٤. ففي القسم الاوّل من الكتاب من الفصل الاول الى التاسع يوقفنا الكاتب على خلاصة ما حدث أبّان انتشار الايمان بين اليهود

وفي القسم الثاني من الفصل العاشر الى الثامن والعشرين يطرفنا بخلاصة ما وقع من الحوادث اثر اعتناق الوثنيين الايمان

ويلعب في القسم الاوّل دورًا مهمًّا القديس بطرس وفي الثاني القديس بولس:

ومن الغريب اننا لا نرى مؤلفًا كثرت الشهادات الاثريّة في جانب صدق روايته نظير كتاب الاعمال ومع ذلك قد قام اعداء الدين من العقليين ورموهُ بسهام كثيرة فتحاملوا على صحتهِ وسلامتهِ من التزييف والتحريف وعزوهُ الى مؤلف غير مؤلفهِ الحقيقي وأخّروا تاريخ كتابتهِ ليحطّوا من اهميّة ما أودعهُ من الافادات الغرر عن تاريخ نشأة النصرانيّة. فحدا بنا حبّ افادة اهل البحث في بلادنا العزيزة ان ندوّن لهم ما يهمّهم الوقوف عليهِ من هذا الباب متخذين مؤلفات علماء الكاثوليك وغيرهم سندًا لنا في بحثنا هذا ولنا الامل باجمهم يتابلون بالمسرّة خطتنا في تحدّي كرّ القوم في الدفاع عن شرف ديننا القويم وكتبنا المقدّسة وعلى الله الاتكال

والابحاث التي يتناولها سفر الاعمال مرجعها الى اربعة امور اعني مؤلفهُ ثم زمان وضعهِ ثم سلامتهُ من التحريف وصدق روايتهِ

١ من هو كاتب اعمال الرسل

ان المجمع الترينتي في جلستهِ الرابعة عزا كتابة هذا السفر للقديس لوقا وليس

ذلك دون مستند فلدينا برهانان يدعمان هذه الحقيقة : اولهما ما رواهُ لنا السلف وتُنوقل بالتواتر دون انقطاع . وثانيهما ما يُستنبط من نصّ فقرات الكتاب نفسهِ . وبهذا كفاية لرد بعض اعتراضات يرمي بها قوم المنتقدين المتأخرين هذا الرأي الثالث

١ً (شهادة النقل او التقليد) لا نطيل الكلام بهذا الصدد فنقتصر على ما يأتي : من المؤكد ان الكنيسة الرومانيَّة كانت ترتابي منذ منتصف الجيل الثاني انَّ مؤلف كتاب اعمال الرسل هو القديس لوقا وذلك ليس دون مستند فان القانون الذي عثر عليهِ العلّامة موراتوري (Muratori) المكتوب بين السنتين ١٦٠ — و١٧٠ للمسيح يشهد لهذا الامر وفي هذا القانون جدول الاسفار المقدَّسة من العهدين القديم والحديث . فهناك ذكرٌ صريح لاعمال الرسل ومؤلفهِ الانجيلي لوقا

وذهب الى مثل ذلك القديس ايريناوس الذي جمع في شخصهِ تقاليد آسية وغالية وهو تلميذ بوليكربوس المتتلمذ ليوحنَّا الرسول :

وقال بقولهِ ترتوليانوس المعلم . وارتأى بعدهما هذا الرأي اوسابيوس الذي اورد في تاريخهِ خلاصة كل التقاليد وجعل كتاب اعمال الرسل للوقا في عداد الكتب القانونيَّة (١ المقبولة دون ادنى تردُّد (٢

٢ً (شهادة استقراء كتاب الاعمال) فلننتقل الآن الى البرهان الثاني وهو ما يُستنبط من فقرات الكتاب نفسه :

---

١) عبَّر عن ذلك بالكلمة اليونانية (ὁμολογούμενα) اي الاسفار التي لا يُشكّ في قانونيتها ٢) ان العالم هرناك (Harnack) الالماني إمام علماء البروتستانت في زماننا بالدروس الكتابية الذي ارتاب في حقائق دينيَّة كثيرة فانكر المعجزات والاسرار ومعتقدات الكنيسة وخصوصاً ما يتعلّق بالمسيح فلم يبقَ عنده من الدين المسيحي سوى بعض التصوُّرات المبهمة في الله عاد اخيراً فوجه انظاره الى شهادة النقل التي كان عرض عنها على شاكلة غيره واعارها حقَّها من الاعتبار وتبع في امور كثيرة رأي علماء الكاثوليك . وهاك ما قالهُ في مقدمة تأليفه عن القديس لوقا (Lucas der Arzt) الذي نشرهُ سنة ١٩٠٦ : « ان الرسائل المنسوبة لبولس وكتابات لوقا وتاريخ اوسابيوس هي بمثابة دعائم متينة يستند اليها تاريخ اقدم عهد لنشأة الدين المسيحي وحتى الآن لم تُعرَف هذه الميزة لمؤلفات لوقا اذ كان المنتقدون لا ينصفون اهمية كتاب اعمال الرسل وعليهِ فاقول في هذا الموقف ان المنتقدين هم على ضلال وانَّ الحقّ في جانب النقل والتقليد » اه كلام هرناك

قال كاتب اعمال الرسل في العبارة الاولى من كتابهِ في مفتتح الفصل الاول: « قد انشأتُ الكلام الاول يا تاوفيلس في جميع الامور التي عملها يسوع وعلّم بها »

فمن هذه الآية نستجلي بالتحري والمقابلة ان المؤلف الذي كتب الاعمال هو القديس لوقا نفسهُ الذي انشأ الكلام الاوّل اي الانجيل الثالث المنسوب اليهِ دون ادنى توقّف فاهدى الكتابين الى رجل واحد شريف يدعوهُ فيهما تاوفيلس لم يزدنا الكاتب او المؤرخون علماً بمناحي حياتهِ (١

ثم لم يرتبْ احد بان المراد من لوقا كاتب الاعمال والانجيل انما هو لوقا نفسهُ الذي يتكلم عنهُ القديس بولس وهو سجين في رومية سنتي ٦٠ — ٦٢ : وهاك ما ورد في رسالة القديس بولس الى اهل كولسي (٤ : ١٤ : « يقرئكم السلام لوقا الطبيب الحبيب وديماس ». وقد كتب ايضاً بولس في ذاك العهد الى فيلمون (ع ٢٤): « يسلم عليك ابفراس رفيقي في الاسر . . . وديماس ولوقا رفاقي في العمل »

ولمّا كتب القديس بولس رسالتهُ الثانية الى تلميذهِ تيموتاوس كان ديماس غادر الرسول الى سالونيك وكان مرقس عند تيموتاوس فلم يكن عند بولس احد سوى لوقا وهذا ظاهر من قول الرسول : « ومعي لوقا وحدهُ فاستصحبْ مرقس واقدم بهِ فانهُ ينفعني في الخدمة » (تيموتاوس الثانية ٤ : ٩ و ١١) فيستجلي المطالع المنصف من النصّين الاولين الصادرين عن رومية ان لوقا كان رافق الرسول السجين وانه شريكهُ في التبشير والانذار وانهُ معهُ وجليسهُ في رومية (لكن غير مقيَّد معهُ في السجن) وانهُ طبيبهُ وهذا المعنى قصدهُ الرسول بقوله اعلاه لوقا الطبيب

ثم يستجلي ثانيا من رسائل بولس ان لوقا لم يكن بقربهِ في سنتي ٥٦ و٥٧ الميلاد لانهُ في مدتهما كتب رسائلهُ الى القورنتيين والغلاطيين والرومانيين اذ لو كان مع الرسول في ذاك العهد لما كان اعرض عن الاتيان بذكرهِ (٢

وهذا النزر القليل الذي كتبهُ لنا الرسول في شأن طبيبهِ الحبيب وجليسهِ في حلّهِ

---

١) طالع ما قالهُ رينان في مقدمته على اعمال الرسل والرسائل (Renan : *Introd.*, X)

٢) اما ما يزعمهُ البعض خلافاً لما تقدم مستندين الى ما ورد في الرسالة الى اهل قورنتوس (١٨ : ٨ و ١٩) من وقد بعثنا معهُ الاخ الذي يثنى عليهِ . . . بل قد اختارتهُ الكنائس رفيقاً لنا في السفر » فلا يعوّل عليهِ لانّ المرجّح انهُ لم يقصد بهِ لوقا

وانيسه في ترحاله يتّضح بجلاء من نص كتاب الاعمال فمنهُ يلوح ان ذاك الطبيب والخدن العزيز والإلف الكريم الذي يصفهُ لنا الرسول إن هو الّا لوقا كاتب الاعمال وان الكتاب الموما اليهِ هو نتاج قريحة ذاك الطبيب والرفيق الذي يطوف معهُ البرَّ والبحار تطواف الشاهد البصير كما سترى

واعلم انَّ مجمل كتاب الاعمال ٢٨ فصلًا فاذا رميت بنظرك الى الفصل السادس عشر وتوقفت عند العدد التاسع وما يليهِ من هذا الفصل ظهر لك كاتبهُ المجهول لانهُ هناك استبدل ضمير الغائب (الذي استعملهُ من الفصل الاوّل حتى السادس عشر) بضمير التكلم فقال: « فلمَّا رأى (بولس) الرؤيا طلبنا للوقت ان نسير الى مكدونية الخ » . فمن يتصفَّح كلام الراوي من هذه الآية الى التاسعة عشرة يتحقَّق ان الكاتب هو هو بلا ريب ذاك الرفيق الذي اشار اليهِ القديس بولس فدعاهُ « رفيقهُ في العمل » لاننا نرى هذا الكاتب يورد الحوادث كشاهد عياني بحيث يُطلقَ عليهِ بحق وصواب اسم الرفيق لانهُ شارك معلّمهُ في كل المواقع التي يصفها . ثمَّ انَّ هذا الرفيق يرافق الرسول الى مكدونية وفيلبي (اعمال ف ١٦ عد ١٠ — ١٧) وبعد ايام نراه يختفي فيعدل عن رواية المتكلم الى رواية الغائب فلا نراهُ ملقًى في السجن مع بولس وسيلا ولم يتبعهما بعد خروجهما من السجن (ف ١٦ عد ١٩ — ٤٠) في اسفارهما الى اثينا وقورنتية وانطاكية نحو السنة ٥٣ للميلاد اذ يروي كل ذلك عن بولس ورفقته دون نفسه

وفي هذه السنة ترى الرسول يعاود اسفارهُ الرسوليَّة فيباشر سفرهُ الثالث والاخير من السنة ٥٣ الى ٥٧ فنراهُ يزور افسوس ومكدونية وبلاد اليونان . ولما كان مزمعاً ان يقلع الى سورية او انطاكية ارتأى ان يعود برًا الى مكدونية واذ ذاك يظهر امامنا الرفيق المحجوب فيستأنف روايتهُ بضمير المتكلم . فكان بقي في مكدونية بعد اختفائهِ عن ابصارنا من العدد العشرين في الفصل السادس عشر من سفر الاعمال فنظهر في العدد الخامس من الفصل العشرين حيث عاد الى ضمير المتكلم فقال: « فهولاء سبقوا وانتظرونا في تروآس »

وهذه الحقبة تتناول خمس او ست سنوات ومذ ذاك الحين نرى الرفيق لا سيما بالرسول فيركب معهُ متن البحار ويطوف مطاوي البر فنراه الى جانبهِ في تروآس

ومتيلانة وميلتس وكيوس وروودس ومنها الى بترارس وصور وقيصرية حتى بلغوا اورشليم (ف ٢١ عد ١—١٨). وهنا الرفيق يختفي عن نظرنا ثانيةً خلال روايته لما جرى لبولس من الحوادث في اورشليم وما بعد ألَّا أقتيد الى قيصرية واعتُقل هناك مدَّة سنتين من السنة ٥٧ الى ٥٩ للميلاد. ثم رفع بولس دعواهُ الى قيصر وسافر الى رومية بختمهُ الجند. وبعد ذلك يظهر الرفيق السري ويعود الى رواية المتكلمين ويسرد لنا ماجريات سفر بولس من قيصريَّة الى رومية على الصفحات الاخيرة من كتاب الاعمال (اي الفصلين ٢٧ و٢٨) وكل ذلك بتعابير واوصاف دقيقة لا يُحسن تدوينها الَّا من كان رفيقاً الى جانب بولس

ثم يختفي الرفيق السري لاخر مرَّة وينقطع عن الكتابة ويترك لنا الرسول في رومية في بيتٍ اجرهُ لنفسهِ فيقبل فيهِ من يزورهُ وينادي بالكلمة. ولم يتحفنا الكاتب بتفاصيل بقيَّة امور الرسول التي كان ينتظرها القارئ بفروغ صبر ألا وهي وقوف بولس امام نيرون قيصر واحتجاجهُ بازاء ذلك الامبراطور الطاغية على دعوى اليهود ونجاتهُ من اعدائهِ وانَّما اكتفى بقولهِ انَّ بولس « اقام سنتين في رومية وهو يبشر بملكوت الله » فدلَّ بذلك عن فروغهِ من الكتابة قبل ذلك او مفارقتهِ لمعلِّمهِ

هذا وان بولس الرسول قد وصف لوقا بوصف اخر غير الرفيق فدعاه الطبيب الحبيب وفي هذا الاسم دليل جديد على ان صاحب سفر الاعمال انَّما هو لوقا. فهلمَّ بنا نتصفح الكتاب مع الذين احكموا اللغة اليونانيَّة التي كُتب بها الانجيل الثالث واعمال الرسل

قد اوغل بعض النقاد في البحث والاستنباط (ومنهم العالم هرناك الذي اتينا بذكرهِ) حتى وضع بعضهم معجماً للالفاظ التي وردت في انجيل لوقا وفي سفر الاعمال فاستدلَّ بذلك على انهما لكاتب واحد وهذا الكاتب هو لوقا الطبيب الذي احكم اللغة اليونانيَّة على شاكلة غيرهِ من وصفائهِ المتطبِّبين. فمن جملة الالفاظ الدالَّة على هويَّتهِ الالفاظ الطبيَّة المصطلح عليها عند الحكماء التي تجدها في السفرين

افتح انجيل لوقا (٤: ٣٨) اذا كنت ممَّن يحكمون اللغة اليونانيَّة ترَ الطبيب لوقا يعبِّر عن حمى بطرس بعبارة مأنوسة عند الاطباء. وترى مثل ذلك في وصفهِ عرق المخلص الدموي (٢٢: ٤٣)

واذا شئت طالع الفصل الثامن والعشرين من سفر الاعمال فترى ان القديس بولس بعد نجاتهِ من الغرق انزلهُ في دارهِ كبيرُ قومهِ في جزيرة مالطة المدعو بوبليوس الطيّب العنصر الكريم الخلق المضياف وكان ابو بوبليوس هذا مريضاً فدخل اليهِ بولس وصلّى ووضع يديهِ عليهِ فابرأه. وهنا نرى الكاتب الطبيب يصف لك المرض وينوّعهُ كطبيب فيقول (٨:٢٨) « قد اخذتهُ الحمّى والزُّحار » وهو داء الدوسنتاريا ويعبر لوقا عن المرض باليونانيّة بهاتين اللفظتين الاصطلاحيتين في فن الطبّ : (πυρετοῖς καὶ δυσεντερίᾳ) ثم واصل الطالعة الفصل المتقدم ذكرهُ فترى شواهد اخرى على ما قدمناه . منها تعبير الكاتب الطبيب عمّا اصاب بولس بعد ان لسعتهُ الحية في جزيرة مالطة اثر نجاتهِ من الغرق فعبّر باليونانيّة عن توقع المشاهدين الانتفاخ وسقوط بولس بغتة على اثر لذع الحيّة بكلمتين اصطلاحيتين بفن الطب : (πίμπρασθαι) وهو الانتفاخ و (καταπίπτειν) وهو الموت بغتة . وهذه التعابير خُصّت بانشاء القديس وليس لها مثل في العهد الجديد في محالّ اخرى . ثم طالع ما جرى للقديس بولس مع ذاك الذميم الخلق أليماس (اعمال ١٣ : ٨) الذي استنزل الرسول اللعنة عليهِ لمقاومتهِ بشارة الانجيل فاصابهُ العمى . فترى اللفظة اليونانيّة المستعملة هناك لفظة طبيّة (ἐπέσεν ἀχλὺς)

فمن هذه الالفاظ وامثالها استنتج المدققون في اللغة اليونانيّة انَّ الكاتب الذي تحت تربيتهِ الكتابين هو واحد وانهُ لوقا الطبيب . وهذا القليل من الكثير وافٍ بالغرض

ولنضف الى كل ما تقدم برهاناً اخر يدعم ما قدمناه من البراهين :

ان لوقا كان تلميذ بولس الرسول ولا نراه ينقل شيئاً من رسائلهِ التي بين ايدينا (وهذا ممّا يدلُّ على قدم عهد كتابة الاعمال) ومع ذلك نرى لوقا يرسم لنا صورة بولس الحقيقيّة في الخطب الثلاث الطويلة التي يعزوها اليه فالخطيب هو حقيقة كاتب الرسائل كما يظهر لادنى تبحر في نهج الخطب والرسائل وليس لنا ان نفرض ان بولس تكلم بخلاف ما يصفهُ لوقا ولا ان لوقا امكنهُ ان يتقلد انشاء بولس

فمن يستطيع ان ينكر بعد هذا ان كاتب الاعمال هو الطبيب والرفيق والتلميذ الذي يعنيه بولس : ومن اولى بوصف بولس ذاك الوصف والرسم الحيّ من تلميذهِ

لوقا ؟ فلو فُرض ان كاتباً غير لوقا كتب في بدء الجيل الثاني كتاب الاعمال فهل كان اورد ما اوردهُ ببساطة لوقا ووصفهِ الحيّ مبتعداً ومعرضاً عن الاعجاب بالرسول وتقريظهِ كما فعل الذين ظهروا بعد ذلك العهد

فاذا تبينا كل ما تقدَّم من البراهين استغربنا زعم من لا يسلّم بنسبة الكتاب الى القديس لوقا

٢ في اي عهدٍ كتب القديس لوقا كتابهُ

عبثاً حاول بعض المنتقدين تأخير عهد كتابة الكتاب:

اجل ليس في اثناء الاعمال تاريخ صريح للسنة التي دُوِّن فيها ذلك السفر الجليل وانما لدينا دلائل ضمنيَّة تُستفاد من منطوق العبارات التي يختم بها الكاتب تأليفهُ. ومنها يؤخذ ان القديس لوقا كتب كتابهُ في رومية بين السنتين ٦٢ و ٦٤ قال كتاب الاعمال (٢٨ : ٣٠ — ٣١): « واقام (بولس) سنتين كاملتين في بيت استأجرهُ وكان يقبل جميع الذين يقصدونهُ ويبشر بملكوت الله ويعلّم ما يختصّ بالرب يسوع بكل جرأة ولا يمنعهُ احد »

ان السنتين المشار اليهما في النصّ وقعتا بين ٦٢ الى ٦٤ قضاهما القديس بولس مطلق التصرُّف بنوع ما تحت حراسة جندي روماني ريثما يجري الحكم في حقّهِ. وفي تلك الحقبة صفا الجوّ للكاتب فعكف على تدوين سفرهِ وانتهى منهُ الى ماجريات تلك الحقبة والّا لما كان يمكنهُ ان يعرض الكاتب عن ذكر ختام الدعوى ووصف استشهاد الرسول الذي جرى بعد ذلك باربع سنوات

وليسمح لنا القارئ ان نردّ على زعم المخالفين لهذا الرأي بنقل ما كتبهُ العلّامة باتيفول (Batiffol) بهذا الشأن في مجلة الاكليروس الافرنسي قال:

« من المؤكد ان لوقا كتب انجيلهُ قبل كتاب الاعمال فاننا لا نرى فيهِ كلمة تشير الى خراب اورشليم والحال لو فُرض ان لوقا كتب بعد السنة السبعين أما كان قال لنا ان نبوة المخلص على خراب اورشليم قد تمت وبذلك يتحاشى ما جمعهُ في انجيلهِ ممتزجاً عن نبوّة المسيح بخراب اورشليم وانتهاء العالم ؟

« ولننتقل الى كتاب الاعمال: طالع الفصل السادس عشر من الاعمال (٣٥ —

٣٩) فهناك لا ترى تلك البغضة او الشحناء في صدور الولاة الرومانيين تغلي ضد المسيحيين كما حدث بعد اضطهاد نيرون قال : « ولمَّا كان النهار ارسل الولاة الجلَّادين يقولون (للسجَّان) : اطلق ذينك الرجلين . . . فاقبلوا (اي الولاة) اليهما متضرعين واخرجوهما وسألوهما ان يتحوَّلا عن المدينة »

طالع ايضاً سنداً لهذا الرأي الفصل الثامن عشر (١٢ — ١٧) والفصل الرابع والعشرين (٢٢ — ١٧) والفصل الخامس (١ — ٥) تجد في كل ذلك مراعاةً لبولس ولاصحابهِ تدلُّ على انَّ النصرانيَّة لم تحرَّك بعدُ عليها غضب الرومان. امَّا بعد اضطهاد نيرون للنصارى في السنة ٦٨ فانقلبت الاحوال وصار الولاة يتشدَّدون على المسيحيين كما يظهر للمؤرخ المنصف . ولولا القول بان لوقا كتب قبل هذا الاضطهاد لما روى مثل هذا الرفق بالنصارى وتغاضي الولاة عنهم

ولنضف الى ما تقدَّم ملاحظة اخرى عن العالم هرناك : ان كاتب الاعمال يُظهر الشعب اليهودي بمظهر شعب راتع في مجبوحة السلطان متمتع بامتيازاتهِ يستثنُهُ القحة والقاء السجن في اورشليم وخارجاً عنها بين الامم . وليس في كتابة لوقا عبارة تدلُّ على قرب انتهاء تلك الحالة وانقلابها الى الضنك والظلم اللذين نزلا بهم بعد ان دُكَّت مدينتهم العظمى وتشتَّت شملهم بخراب اورشليم على يد طيطس سنة السبعين فصاروا رجساً في اعين الجميع يُباعون كالعبيد ويُقتلون كاعداء المملكة

ومما تقدَّم يظهر ضعف زعم من يرتأون تأخير تاريخ وضع الكتاب فيسندون انقطاع الكاتب عن مواصلة الكلام ووقوفهِ عند بلوغ بولس رومية الى اسباب اخرى غير ما رويناه . فمن قائل بان تاوفيلس الذي اهداه بولس كتابهُ كان ساكناً رومية فلم يكن من حاجة لان يدوِّن لهُ الكاتب ما جرى للرسول فيما بعد تحت نظره . ومن قائل بان الكاتب ختم كتابهُ عند بلوغ رومية اذ بوصولهِ اليها تمَّ القول الذي قالهُ المخلص لرسلهِ لدن صعودهِ الى السماء كما ورد في الفصل الاول والعدد الثامن من الاعمال : « وتكونون لي شهوداً في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة الى اقصى الارض » . ويريد البعض الآية الاخرى الواردة بهذا المعنى في الفصل الثالث والعشرين العدد الحادي عشر من الاعمال : « وفي الليلة التالية وقف بهِ (اي بولس)

الرب وقال له: «ثق فانك كما شهدت في اورشليم كذلك ينبغي ان تشهد في رومية ايضاً» وهذه التعليلات لم يُعِرْها اهمّية المدققون من المنتقدين

غير ان ارباب النقد لا يحملون على اجزاء الكتاب بجذافيرها بل ان معظم حملتهم موجّهة الى ما رواه الكاتب من اعمال القديس بطرس من الفصل الاوّل حتى الثاني عشر فهذا القسم ينكرون نسبته الى الكاتب لوقا ويسلّمون بالباقي حتى الفصل الاخير

لكنّهم وضعوا هذا التمييز بين القسمين جزافاً دون باعث مقنع وجلّ ما يأتون به من الاعتراضات مؤداهُ الى الدعاوي الآتية: يقولون ان القديس لوقا كان اجنبياً لم يكن ليعرف بلاد فلسطين وسكّانها اليهود فيكون نقل ما سمعهُ دون تدقيق نظر وخلط بين التاريخ الصادق والروايات الاختلاقيّة

ولكن هل فات المعترضين ان لوقا رافق بولس الى اورشليم في رحلته الاخيرة ومكث بالقرب منهُ في قيصرية لمّا كان مسجوناً هناك مدة سنتين من السنة ٥٩ الى ٦١. وفي هذه الحقبة تلقّى ما سطّرهُ في الفصول الاثني عشر الاولى من مجرّد مخالطته المسيحيين الاولين المتنصرين من اليهود فاختبر الاخلاق والعادات واذّخر واستفاد وافاد ومهما تمحّل المنتقدون من الاسباب لاثبات زعمهم مدّعين بصغر سنّ لوقا في عهد سجن بولس في قيصرية وذهابهِ الى اورشليم فقد طاش سهمهم لان القديس لوقا هو من جيل اولئك الناس الذين لمسوا الدين المسيحي فانهُ رأى في اورشليم يعقوب اخا الرب (غلاطية ١: ١٩) وتكلّم مع فيلبوس الشماس في قيصريّة (اعمال ٢١: ٨ — ١٨) كما قال: «وفي الغد خرجنا ورافينا قيصريّة ودخلنا بيت فيلبوس المبشر الذي هو احد السبعة واقمنا عندهُ». وخاطب بطرس في رومية. وما لم يشاهدهُ بعينه فعلمهُ بولس عرّفهُ عن مصدره واصله كاستشهاد اسطفانوس الذي جرى امام اعين بولس (المدعوّ اذ ذاك شاول) واعلمهُ بارتداده قريباً من باب مدينة الشام. ثم اخذ كثيراً من الامور عن المسيحيين الاوّلين نظير مناسون القبرسي (اعمال ٢١: ١٦): «وسار معنا تلاميذ من قيصرية وقد اخذوا معهم مناسون القبرسي التلميذ القديم لننزل عندهُ»

وخلاصة القول انّ لوقا كتب تاريخ حوادث العشرين السنة الاولى لنشأة الدين المسيحي بناء على ما رواه له شهود عيان رأوا الحوادث بذواتهم :

٣ في سلامة الكتاب من التحريف

لا نطيل الكلام في هذا الباب فان الاباحيين انفسهم لم يرموا هذه الحقيقة باعتراض يُذكر . وعليه فنقول ان نصّ كتاب الاعمال قد اتّصل بنا دون ان يلحق به ادنى تغيير جوهري وما وقع من الاختلاف في بعض النسخ لا يمسّ البتّة جوهر المعنى : ويشهد على صحة ما قدمناه كل الترجمات القديمة وخصوصاً الترجمتين السريانيّة واللاتينيّة والنصوص العديدة التي استشهد بها اباء الكنيسة فانها لو جُمعت من تآليفهم في القرون الاربعة الاولى للميلاد لعمّت تقريباً كل سفر الاعمال

٤ في صدق ما يرويه الكاتب

ان صدق ما يرويه القديس لوقا يلوح من كل سطر من كتابه فيتحقّق القارئ ان الحوادث التي رواها الكاتب هي يقينية اخذ بعضها عن رواة ثقة عيانيين على ما يقول في مفتتح انجيله (١ : ١) « كما سلّمها الينا الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة » والبعض الآخر مما شاهده هو بذاته واشترك به ولم يتعمّد الخداع والتمويه لان الحوادث التي يرويها كانت قريبة جدّاً من شهوده فكان من الخطر العظيم ان يروي امورًا غير حقيقية واقعية فينكشف سوء نيته لدى القرّاء كفاية مع ما اسلفناه عن عهد كتابة الكتاب وعن موضوعه وغاية الكاتب

هذا وقد اتى الاب ڤيكورو في مؤلفه « العهد الجديد والاكتشافات الاثرية الحديثة » بشواهد وضيّة تنفي كل ريب في صدق رواية القديس لوقا ونحن نحيل القارئ اللبيب الى مطالعة ما دوّنهُ هذا الباحث المدقق زيادة للبرهان وانّما نضيف الى قولنا بعض الملحوظات تتمّة للفائدة فنقول :

لا شكّ ان القديس بولس استثبت كتاب الاعمال واطّلع عليه بدليل ان في عهد انجاز الكتاب كان القديس لوقا بالقرب منهُ فانّ الرسول يذكرهُ في رسالتهِ الى فيلمون التي كتبها من رومية فيقتدر ان الرسول قرّ ما كتبهُ لوقا واثبتهُ

ثم ان الاجيال الآتية اتبعت القديس بولس في اثبات صدق رواية القديس لوقا: قال القديس ايريناوس في مؤلفه ضدّ الهرطقات (كتاب ٣ ف ٣ عدد ٣): «ما اخبرنا به بولس عن الاثني عشر وما شهد به لوقا واثبتهُ هما امران يتفقان مع بعضهما من كل وجه بحيث يصحّ ان يقال عنهما انهما شهادة واحدة ورواية واحدة».

على انّ بعض المحدثين حاولوا انكار صدق سفر الاعمال فاعترضوا عليه باعتراضات ظنُّوا انّ من شأنها اثبات زعمهم. فمن ذلك رواية الكاتب لبعض المعجزات والحوادث الخارقة الطبيعة التي ينكر هؤلاء الاباحيون وقوعها لعدم ايمانهم باسرار ما وراء الطبيعة

غير ان هذا الاعتراض مبنيّ على وهم فقط ليس على حقيقة ثابتة وهو يعمّ كل الاسفار المنزلة والجواب عليه انّ المعجزات ليست فقط ممكنةً بل واقعيّة لا يجوز نكرانها الّا لاسباب موجبة

وما احرى بنا ان نوجّه الخطاب الذي خاطب به الرسول اهل قورنتية في رسالته الثانية (٢: ١٦—١٧) الى العقليين الذين يحاولون انكار حقيقة الكتاب لانكارهم المعجزات ومن ثم حوّلوا حقيقة الدين الذي نادى به الرسول الى نفحة موت فنخاطب هدايتهم ونبشّرهم بانتصار الدين القويم على هجماتهم العنيفة كما قال: «فشكرًا لله الذي يظفرنا كل حين في المسيح يسوع ويُبدي بنا نفحة معرفته في كل مكان فانا نحن نفحة المسيح الطيبة لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون لهؤلاء نفحة موت للموت ولاولئك نفحة حياة للحياة. ومن هو خليق بذلك فانا لسنا مثل الكثيرين الذين يغشُّون كلمة الله لكننّا باخلاص ومن لدن الله نتكلم امام الله في المسيح»

ومما اعترض غيرهم على صدق الكاتب لسفر الاعمال انهُ لم يرو بعض الحوادث المهمّة التي وقعت في اوّل الكنيسة كسفر القديس بطرس مرّتين الى رومية وكبشارة الرسل في انحاء المعمور كما اثبتهُ النقل وغير ذلك من الحوادث التي اغفلها

نجيب على هذا الاعتراض ان اغفال المؤرخين لبعض الامور في تواريخهم لا يفسد جوهر الحوادث التي يروونها. وهكذا يقال عن صاحب سفر الاعمال فانهُ روى اهمّ الامور التي جرت في بدء الكنيسة كنشأتها في العليّة الصهيونيّة وانتشارها بين

اليهود اوّلًا ثم بين الامم وتأليف نظامها من اساقفة وكهنة ومؤمنين وترتيب اسرارها وعقد مجمعها الاول ورئاسة بطرس عليها كل ذلك وبولس الطرسوسي لم يزل خارجاً عنها او معتزلًا في دمشق او في بادية الشام (غلاطية ١ : ١٧—١٨ و٢ : ١) . فاغفال بعض الامور على ما تقدَّم لا يحطّ من دقة الكاتب اذ قلَّما نرى مترجماً او مؤرخاً يلمُّ باحوال مترجمهِ واعمالهِ بكليتها وجزئيّاتها

وقد رأى البعض ان يضيفوا الى الغاية الاولى التي رمى اليها الكاتب غرضاً اخر وهو الدفاع عن القديس بولس وان قَصْد لوقا الاساسي ان يرينا (في مجرى حوادث تأسيس الكنيسة) الاتحاد والوفاق السائدين بين القديس بطرس ورسول الامم بما لهُ علاقة بالمعتقد والتهذيب . وذهب بعض العلماء الكاثوليك ومنهم الاب سماريا (Semeria) في المجلة الكتابيَّة (تموز ١٨٩٥ صفحة ٣٢٠) ان في هذا الزعم ما يستوقف الانظار لكن مع الحذر من التهوُّر في مذهب بعض اساتذة مدرسة توبنغ الذين لا يرون في كتاب الاعمال تاريخاً حقيقاً وضعياً بل رواية مختلقة او مُلفَّقة

والحقّ يقال ان من طالع الكتاب باخلاص نيَّة رأى ان الكاتب لم يقصد اخفاء الخلاف الذي وقع في عهد الكنيسة بين اليهود المعتنقين الايمان حديثاً وبين الامم الذين كان يصعب عليهم الخضوع لقول المتنصرين من اليهود انهُ ليس خلاص دون ختان : فترى الكاتب يضع امام اعيننا بنزاهة وبساطة مصدر الخلاف الموما اليهِ واسبابهُ ألا وهي شدَّة تمسُّك مسيحيّي اورشليم بناموس موسى . فمثلاً حاول اسطفانوس ان يسمعهم صوتهُ مصرّحاً بانهم أُعتقوا من تلك الروابط . وعبثاً حاول القديس بطرس اقناعهم بان حقوق اليهود والامم متساوية في الملكوت السماوي فانَّ كل ذلك لم يضعف شيئاً من بغضهم لمن لم يخضعوا لشريعة الختان . وهل يخفى علينا كتاب الاعمال هذه الظروف ؟ كلّا بل نراه يصرّح بها . افتحْ مثلاً الفصل العاشر (العدد ١٩—٣٤) فترى فيهِ سرد دعوة الامم للايمان بشخص كرنيليوس . ثمَّ يقول كتاب الاعمال (١١ : ١٩) لمَّا تكاثر عدد المتنصرين من الامم في انطاكية انحدر قوم من اليهوديَّة واقلقوا الانفس باقوالهم بحيث التزم القديس بولس وبرنابا ان يقاوما ذاك التعليم والتسا من المجمع الاول الذي عُقد في اورشليم وذل قول القائلين

انهُ لا خلاص دون ختـان . ومع ذلك بقي المتنصرون في اورشليم متمسكين بناموس موسى وهو ظاهر من خطـاب القديس يعقوب والكهنة في اورشليم للقديس بولس (٢١ : ٢٠) « انت ترى ايها الاخ كم ربوة من اليهود قد آمنوا وهؤلاء كلُّهم أولو غيرة على الناموس »

ولذا نرى القديس يعقوب يناشد القديس بولس بان يرقَّ لضعف هؤلاء ويراعي عاداتهم ويظهر نفسه مع رفاقه في الهيكل . وبهـذا كفاية لردع قول من يقولون بان غاية الكتاب اخفاء الخلاف وتوحيد الرأي بين بولس وبطرس

اجل ان الخلاف كان شديداً بين المتنصرين من الامم واليهود واما الرسـل فكانوا بمعزل عنهُ ولم يكونوا يتداخلون الَّا لالقـاء السلام وقطع دابر الخلاف فلم يكن الخلاف بين الرعـاة والقطيع كما يزعم البعض . واذا كان القديس بولس نطق ببعض كلمات في معرض الحدَّة فلم يبطلْ ذلك علاقاتهِ مع المتنصرين في اورشليم من اليهود الذين كان يجمع لهم من كل صوب الحسنات ونيرانُ الخلاف في شدَّة وطيسها بين العنصرين وذلك دليل واضح على انَّ القديس بولس كان يخدم المتنصرين من اليهود كالمتنصرين من الامم . فقد ورد مثلاً في رسالته الاولى لاهـل قورنتية (١٦ : ١—٣) قولهُ : « واما ما يُجمع للقديسين فكما اوعزتُ الى كنائس غلاطية كذلك فاصنعوا انتم ايضاً . في كل اول اسبوع ليعزل كل امرئٍ منكم عنـدهُ ويخزن ما وُفِّقَ اليهِ لئلَّا يكون الجمع عند قدومي اليكم »

وورد في رسالته الثانية لاهل قورنتية (١١ : ٧) : « ألَعلي اتيت خطيئة حين وضعت نفسي لترتفعوا انتم حيث بشَّرتُكم بانجيل الله بجاناً فاني قد سلبت كنائس اخرى واخذت منها النفقات لخدمتكم » . ولئلَّا نطيل الكلام فليطالع القارئ رسالة القديس بولس الى اهل قورنتية الثانية ورسالتهُ الى اهل غلاطية (١ : ١١—١٦ و١٩ : ٢ : ١—١٤) الخ . وكلها تبيِّن بطلان زعم الزاعمين بأن لوقا قصد توفيق خلافٍ ما بين بطرس وبولس او اثبتَ تبايناً في خطَّـة تبشير الرسل فكل هذه الاغراض تكذِّبها النصوص الكتابية

وبعد ما قدمناه من البراهين باختصار اذا بقي من يرتاب بصحـة رواية سفر

اعمال الرسل وحقيقة اسنادهِ الى مؤلفهِ القديس لوقا وعهد كتابتهِ فيصح ان يقال عنهُ ما قالهُ الرسول عن الرومانيين (١ : ٢١) المتعنتين : « سفهتْ افكارُهم واظلمت قلوبهم الغبيَّة » اذ قد يتفق ان تظلم العقول في الحقائق التاريخيَّـة بسبب الاوهام والاغراض كما تظلم القلوب بسبب سطوة الشهوات الفاسدة والاميال القبيحة صان الله عقولنا وقلوبنا من شرّهما

النحل

نظر علمي عملي اقتصادي للاب اسكندر طوران اليسوعي

عجيبٌ هو الله في اعمالهِ ! هكذا هتف النبيُّ والملك داود حينما كان واقفاً يعتبر ما في الكون من مخلوقات الله المتنوعة . وكل من نظر بعين التأمل الى اعمال الله القدير لا بدَّ لهُ ان يردد الآية ويبـارك الخالق في كائناتهِ : نعم ان الله لعجيب في كلّ عمل من اعمالهِ . عجيب بما وهب الانسان من نور العقـل وحريَّة الارادة . عجيب بسنبلة الحقل التي يتذهل التاظر اليها من دقيق صنعها كما يتذهل من جمال الاوزة العظيمة وشموخ وسوق اغصانها . هو الله عجيب بهذا العدد العظيم من الحيوانات المختلفة الانواع وتلك الحشرات الصغيرة التي لكل طائفة منها غريزة خصوصيَّة وعوائد مألوفة واميال طبيعيَّة لا تحيد عنها مدى الدهر

ولكن دعنا اليوم نتخذ واحدة من هذه الكائنات موضوعاً لدرسنا نقصد بها هامَّة صغيرة غاية في اللطف وهي النحلة . ولعلَّ بعضاً من الجهلاء يعارضنـا قائلاً : ترى ماذا تجد في النحلة من الاشياء الغريبة العجيبة ؟ فان قلتَ انها تمجُّ العسـل والشمع فالبقرة تدرّ بحليب نصنع منهُ اللبن والجبن والسمن . وان قلت انها تلسع كل من تعرَّض لهـا بعُسَّتها فالثور يذبُّ عن نفسهِ بقرنيهِ والكلب ينهش من رام لهُ شرّاً . ولست ارى موضعاً للاعجاب في هـذه الحشرة الصغيرة